لانهم يبتغون فضلا اى ثوابا من الله الذى لانهاية لفضله ورضوانا يقربهم اليه ولا غاية
للقرب منه وبهذا الابتغاء وان كان امرا خفيا لكن يظهر اثره فى الظاهر اذ سيماهم اى علامة
ابتغائهم ظهور النور فى وجوههم من اثر السجود فى تنور الباطن بحيث يسرى الى الظاهر ذلك
مثلهم اى صفتهم العجيبة التى ذكرها الله فى التورية واما مثلهم فى الانجيل فهو انهم كزرع اخرج
شطأه اى فراخه وهو ظهور انسانيتهم بالاعتقادات الصائبة فآزره اى قواه وهو
بالدلائل العقلية والنقلية فاستغلظ اى انتقل الى الغلظ بالاعمال فاستوى على سوقه اى
استقام على قصبه وهو بالاخلاق يعجب الزراع اى زراع الاخرة بما يظهر فيهم من العلوم
والكرامات ليغيظ بهم اى بطريقتهم الكفار اذ ينالون بلا رياضة ما لا يبلغونه بالرياضات
الصعبة وعد الله الذين امنوا بطريقتهم وعملوا الصالحات وان لم يكن لهم احوالهم
ومقاماتهم منهم مغفرة لقصورهم واجرا عظيما فوق اجر العامة لحبهم اياهم ثم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد واله اجمعين
سورة الحجرات سميت بها لدلالة اياتها على سلب انسانية من لا يعظم رسول الله صلعم غاية
التعظيم ولا يحترمه غاية الاحترام وهو من اعظم مقاصد القران بسم الله المتجلى بكلامه
فى رسوله بحيث جعل التقدم على الرسول تقدما على الله الرحمن بنداء اهل الايمان ليتقبلوا
الى سماع خطابه الرحيم باجره ونهيه يا ايها الذين امنوا ناداهم ليقبلوا الى اصغاء خطابه
وابهمهم ثم فسرهم ليقع عظمتهم فى انفسهم مزيد وقع وقد وقعت فى الحظ عند ورود
الخطاب الالهى عليها ليلا ينصرم انصرام الماضى لا تقدموا انفسكم ولا غيركم قولا او حكما على
قول الله ورسوله وحكمهما فى الكتاب والسنة فتصيروا كالسائرين بين يدى الله ورسوله
وهو مناف للايمان لانه مبنى على تعظيمهما فى الغاية والتقدم ينافيه واتقوا الله
ان تخالفوا اوامره ونواهيه فيه تقدم لاهوية انفسكم عليها ولا يخفى عليه ان الله سميع
لاقوالكم اللفظية والنفسية عليم بما قدمتم عليه من اجله فيجحموه عليه يا ايها الذين امنوا
كيف لا ينافى الايمان التقدم على الله ورسوله وقد نافى رفع الصوت فوق صوته لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى لما فيه من تقديم اصواتكم الى اسماع الحاضرين قبل صوته
كيف وقد نافى الجهر له بالقول لا تجهروا له بالقول وان لم يعق صوته كجهر بعضكم لبعض لاشعاره
بقلة المبالاة به فيخاف من ذلك زوال الايمان المقتضى ان تحبط اعمالكم ولا يتوقف على
قصد قلة المبالاة بل يكفى الاشعار فيكون محبطا لاعمالكم وانتم لا تشعرون لعدم قصدكم قلة
المبالاة ثم ان الذين يغضون اصواتهم اى يبالغون فى خفضها عند رسول الله وان لم يومروا بها

اولئك

اولئك الذين احتاطوا المزيد التقوى اذ خافوا الوقوع فى الجهر وبما زاد تقويهم لانهم امتحن
اى اختبر الله قلوبهم فوجدها كاملة لان تصير وعاء للتقوى فهم وان احوجوا رسول الله صلعم
الى الاستفهام كلامهم لهم مغفرة لانهم زادوا فى توقيره وكيف لا ومقتضاه اجر عظيم يدفع ذنب
الاحواج الى الاستفهام وليس هذا الغض والجهر مخصوصين بحضوره عليه السلام بل ان الذين
ينادونك اى يدعونك ولو من غير جهر بعضهم لبعض وقد ناداه من وراءها عيينة بن حصين
والاقرع بن حابس من جهة وراء اى خارج الحجرات عند كونك فيها مستعجلا لخروجك اليهم
ولو بترك ما انت فيه من الاشتغال اكثرهم لا يعقلون اذ لا يفعله محتشم ولا يفعل لمحتشم فلا يراعون
حرمة انفسهم ولا حرمتك ونسب الى الاكثر لانه قد يتبع عاقل جماعة الجهال موافقة لهم ولو انهم
صبروا حتى تخرج اى ولو ثبت صبرهم الى حين خروجك اليهم لكان خيرا لهم لان خروجه باستعجالهم
ربما يغضبه فيفوتهم فوائد رؤيته وكلامه وان صبروا استفادوا فوائد كثيرة مع اتصافهم
بالصبر ورعاية الحرمة لنبيهم ولانفسهم وهذا وان كان اساءة للادب منهم مع رسول الله صلعم
لكنهم لكونهم فى حكم المجانين يغفر لهم اذ الله غفور بل يرحمون بفوائد رؤيته عليه السلام وكلامه لانه
رحيم واذا كان الصبر خيرا فى الاخذ من الرسول عليه السلام فكيف لا يكون خيرا فى الاخذ من
الفاسق الى التبين يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق لا يمنعه ايمانه من الكذب كما
لا يمنعه من ساير المعاصى بنبأ عن قوم يقتضى ايذاءهم فتبينوا اى فاستظهروا صدقه من
كذبه بطريق اخر كراهة ان تصيبوا قوما اذية بجهالة باستحقاقهم اياها ثم يظهر لكم عدم
استحقاقهم فتصبحوا على ما فعلتم من ايذائهم نادمين وحق المومن ان يحترز عما يخاف منه الندم
فى العواقب واعلموا ان فيكم من الجهل ما يفوق جهل المنادى من وراء الحجرات وجهل الاخذ
بنبأ الفاسق بلا تبين وهو انكم ترون ان على الرسول ان ياخذ بكل ما تشيرون له
فكانكم لا تعلمون ان فيكم رسول الله فحقكم ان تطيعوه فى كل ما يشير لكم ولا تنتظروا اطاعته
فى كل ما تشيرون له فانه لو يطيعكم فى كثير فيه اشارة الى انه لا بد وان ياخذ ببعض ما تشيرون
له اذا امر بالمشاورة لكم من الامر لعنتم اى لهلكتم باعتقاد ان رايكم اجل من رايه وهو يمنعكم
من الايمان به ولكن الله حبب اليكم الايمان وعارض زينة رايكم زينة الايمان اذ زينه
فى قلوبكم ولم يجعلها بحيث تفيد ادنى ترجيح له على الكفر بل كره اليكم الكفر بالغ حتى كره اليكم
مقدماته اعنى الفسوق اى الخروج عن مقتضى الدلائل ولواحقه اعنى العصيان اى مخالفة
اوامره ونواهيه اولئك وان كان فيهم هذا الجهل هم الراشدون لانهم عارضوه بما هو
محض وهم وان كانوا مختارين فى ذلك فاختيارهم فرع تحبيب الله وتكريهه فكان

بلا حايل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)